خطورة الفكر الديمقراطي على بعث الإسلام من جديد



20 ربيع الثاني 1435 هـ - 20 / 02 / 2014 م

www.ommaty1401.blogspot.com

أشعر بالأسى والحزن وأنا أكتب هذا المقال، إذ بعد كل ما حدث ويحدث للأمة، نجد هذه "الفتنة" الديمقراطية أصابت الكثيرين ! لا أقول من عامة الناس التي ليس لها قاعدة علمية ربانية تقيس على أساسها ما يُعرض عليها.. وإنما أصابت قادة العمل الإسلامي، والداعين إلى الإسلام ! وأصبحوا يتسموا باسم "الإسلاميون الديمقراطيون"! كنت أحسب أن الفشل الحاصل والضريبة الباهظة التي ندفعها جراء هذا الفكر، كانت كفيلة بهدم صنم الديمقراطية ونسفه من الأساس، ولكن نجد من هؤلاء الإسلاميين من يختلق لها تبريرات لا تنتهي ! فما بالنا لو كانت نجحت نسبياً ! ماذا كانوا سيفعلون ؟!

إن المسلم يحارب الفكر الجاهلي – ومن ضمنه الديمقراطي – سواء نجح أو فشل، لأنه فكر مرفوض وباطل من الأساس، وهو مناقض للفكر الإسلامي هوية وشريعة ونظام حياة!

وإن الفكر عموماً مرحلة خطيرة جداً، إذا كان منحرفاً من الأساس.. فإن كل ما ينتج عنه من أعمال ستكون باطلة فاشلة منحرفة، مهما كانت التضحيات.

وإن الحديث عن الحكم واختيار الديمقراطية وسيلة له، يعتبر واحدة من أهم "قضايا الأمة المصيرية" وإن الحديث عن هذه القضايا لهو خطب جلل، يترتب عليه دماء وأرواح وثروات ومستقبل أجيال، ومصير أمة.. بل ومستقبل البشرية، لذا فليس هو نهباً لأي أحد، وليس هو مجال مفتوح عفوي ارتجالي خاضع لكل تجربة يدلو كل واحد فيها بدلوه.

أشعر بالأسى والحزن وأنا أكتب هذا المقال، إذ كنت أظن أن الحديث عن هذه "الديمقراطية" كاد أن ينتهي، وأن صنمه أوشك على السقوط، ولكن إذا بسدنة هذا الصنم يقيمونه من جديد، ويشعلون حوله الأبخرة، ويتراقصون من حوله، ويقدمون له القرابين لينفخوا فيه الحياة من جديد! لنعود لنبدأ محاربة هذا الفكر من جديد.. كأن كل هذه التجارب لم تكن كفيلة باستقامة ميزان العقيدة والعقل في نفوس المسلمين!

كنت أحسب أن المقالات والحوارات القادمة هي حديث عن آليات الشورى، وشكل الدولة.. فيدور النقاش حولها، ونختلف في هذه الجزئية، ونعيد النظر في تلك النقطة، ونطرح رؤية في هذه المسألة.. كنت أحسب أننا سنعود نُطلق طاقات عقولنا وفكرنا داخل "إطارنا الإسلامي، وهويتنا الإسلامية، وشريعتنا الربانية" ولكن – وللأسف – مازلنا خارج الإطار ! ومازلنا نتحدث عن البديهيات ! ومازلنا بعيدين عن الطريق !

* * *

إن العقيدة وما ينتج عنها من فكر هي مرحلة (أولى أولية) لا يمكننا تجاوزها أو غض الطرف عنها، فهي قاعدة الانطلاق، فالعقيدة وما ينتج عنها من فكر تُولد الإرادة، والإرادة تُنتج العمل.. فإذا اضطربت العقيدة والفكر، فكل ما بعدها باطل، وفاشل.

لقد حاول المشركون بكل وسيلة مع النبي ﷺ ليتنازل عن جزء من هذه العقيدة، عرضوا عليه كل شيء – وهو في أشد حالات الاستضعاف – عرضوا عليه المال والمتاع والسلطان والرياسة، كان المشركون يحاولون بجد من كل طريق التوافق والتواؤم والمصالحة والوقوف على أرضية مشتركة ﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾ [القلم : 9] بل وعرضوا عليه التوافق في الأديان.. أن يعبدوا إلهه يوماً، وآلهتهم يوماً ! كان منطقهم قوياً: إنه يساوي بيننا وبين العبيد، إنه يفرق بين المرء وزوجه، إنه يخلق العداء بين الولد وأبيه، والابن ووالده، إنه جاء بدين ما سمعنا به من قبل. لنعذبن اتباعه، ولنحارب دين محمد ﷺ ! وفي أشد حالات الاستضعاف يقول لهم النبي ﷺ : "يا عماه والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته" لأن النبي ﷺ كان يعرف أن العقيدة لا مداهنة ولا مهادنة فيها، فهي رسالة الله، ومنهج الحياة.. يجب أن تبلغ الناس كما جاءت من عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وليس فيها حلول وسط، وأرضية مشتركة، فالعقيدة قاعدة الانطلاق للفكر والإرادة والعمل. ويجب أن تكون منذ الوهلة الأولى خالصة تامة لوجه الله الكريم.

* * *

إن النفس البشرية لها قدرة عجيبة على التهرب من المسؤولية، والالتواء.. والمكابرة عن الاعتراف بالذنب، فتختلق آلاف من المبررات تستطيع معها أن تجعل ساحتها نقية طاهرة، وإن ظروف أخرى قاهرة هي المتسببة في الكوارث.

وهذا هو منطق إبليس، فالفرق بين خطيئة آدم، وخطيئة إبليس.. أن آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ اعترف بذنبه وسأل ربه المغفرة، وإبليس تَكبر عن الاعتراف بذنبه وألقى باللوم على ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾ [الأعراف : 16] وسأل ربه أن يُمهله ليوم الدين !

بل إن المسلمين في غزوة أحد، قُتل منهم ما يقرب من سبعين من كبار الصحابة.. ولما نزل القرآن لم يتوجه باللوم إلى الكفار.. بل إلى المسلمين ! ﴿ أَنَّى هَـذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران : 165]

إننا بعد التجربة المريرة – في مصر – التي تتقاطر منها الدماء ، وتُزهق فيها الأرواح حتى هذه اللحظة ! لم يخرج علينا أي أحد، يُبين لنا الخطأ، ويقيم لنا التجربة، ويعرفنا المنهج الصحيح في التفكير، والمنهج الصحيح الرباني، ويحدد لنا الخسائر، والضريبة التي دفعناها، ويقدّم للأمة تقريراً كاملاً تفصيلياً عن الأرواح والأموال والأعمار التي زُهقت، وماذا حققنا في مقابلها على مستوى العقيدة، والحياة؟؟

لا.. بل كانت هي الرعونة والارتجالية والعفوية والاستهتار والعبثية، والمكابرة عن الاعتراف بالذنب!! لا.. بل كانت هي الدفاع عن الديمقراطية، وأننا ماضون نقيم دولتنا من خلالها ! الأمر الذي لا ينسحب على الحركة الإسلامية وحدها، ولا على مصر وحدها، بل على الأمة الإسلامية ومن ورائها البشرية كلها !

وفي هذا المقال لن أناقش الديمقراطية من المنظور الشرعي، وإنما من خلال تبريرات هؤلاء حول الديمقراطية، وصد حالة الالتباس التي يصيبون بها الشباب المسلم.. الذي يعجز عن تقييم الأمور بصورة كلية، نتيجة طبيعة التربية والعلوم التي يتلقها، والتي تجعل من عقله مُستقبِل فقط! ليس له القدرة على التحليل والنظر وربط الأمور ببعضها، والوصول إلى صورة محددة في النهاية.. الأمر الذي يجعل حالة الالتباس حول الديمقراطية تترسخ في الأذهان، ويصعب بعد تكلسها وتحجرها في العقول استئصالها إلا بصعوبة بالغة، وتكاليف باهظة.

وإن أصحاب هذه التبريرات قد يُقرون بأنهم يرفضون "فلسفة" الديمقراطية، بل ويقولون: إنها ليست من الإسلام في شيء، بل وأحياناً يقولون إنها منهج كفري.. ثم يختلقون لها تبريرات تجعلها في النهاية هي الغاية والمنهج والطريق ! ويا له من منهج عبثي مُلتوي يُضيع على الأمة الكثير، وفي النهاية تدفع الأمة الضريبة الباهظة كاملة.. بلا نتيجة !

* * *

تبريرات الديمقراطية:

(1) جواز المشاركة السياسية للدفاع عن مصالح المسلمين.

ولن أناقش المسألة هنا من الوجهة الشرعية، فلنفترض جواز المشاركة للدفاع عن مصالح المسلمين، ولكن لنسأل ما هي "مصالح الإسلام والمسلمين" التي تم الدفاع عنها؟ وهل تحدث أحد أنه استطاع أن يُحصّل من خلال "مشاركته السياسية في البرلمانات" مصالح للإسلام والأمة، اللّهم إلا مصلحة الحزب، وحتى هذه ليست مضمونة، فإن العدو لا إشكالية عنده من اعتقال رئيس الحزب نفسه بمجموعة من المخبرين !

ولنتأمل هذا التاريخ:

في يناير 1882 : أول برلمان وطني في تاريخ مصر.

مارس 1882 : حل البرلمان لمحاولته مناقشة الميزانية العامة للبلاد.

نوفمبر 1924 : محاولة مناقشة الميزانية و اصدار قرارات سيادية في البرلمان المنتخب شعبياً.

ديسمبر 1924 : حل البرلمان.

مايو 1928 : رفض معاهدة مهينة مع الانجليز، ومحاولة مناقشة للميزانية وتعديل قوانين التظاهر.

30يونيه 1928 : تعطيل البرلمان ثم حله بعد شهر و لمده 3 سنوات، بعدها تم تعطيل البرلمان.

23 يناير 2012: أول برلمان مصري منتخب بعد ثورة 25 يناير.

14 يونيه 2012: حل أول برلمان منتخب. !!

هكذا بجرة قلم يتم حل البرلمانات، وسيتم حل أي برلمان يدافع - بحق - عن حقوق الشعوب سواء أكان المنطق للدفاع عن الحقوق إسلامياً أو علمانياً.. تُسمى تلك المكاسب السياسية كالبرلمانات والأحزاب "مكاسب هشة" وفي سبيل هذه المكاسب الهشة أنفقنا ما يقرب من 2 مليار جنيه (انتخابات مجلس الشعب والشورى والرئاسة) بالإضافة إلى أوقات وأعمار وطاقات المسلمين.. ثم في النهاية بجرة قلم، وبقرار ممن يملك القوى الصلبة الحقيقية تنتهي كل هذه الديكورات الكرتونية.

فهل خرج أحد يعتذر للأمة عن هذا العبث؟

هل خرج أحد يُبين لها الأخطاء ويحلل لها التجربة ويقيمها، ويعرض عليها الدروس المستفادة؟

هل وقف أحد ليقول: لقد غفلنا عن دروس التاريخ، وانحرفنا عن سنن الله في الكون، وانحرفنا عن منهج الله وشريعته، ونرفع إلى الله توبة نصوحة نبرأ إليه فيها من كل ما فات، ونبرأ إليه من الأموال التي ضاعت، والأرواح التي زُهقت في سبيل هذا العبث؟

هل وقف أحد ليقول للأمة هذا هو الطريق الذي أراده الله تعالى لهذه الأمة؟

كلا.. إنما هي المكابرة والاستعلاء والتبجح والتبرير هو سيد كل المواقف !!

(2) نظرية السُلم

أي: "استخدام الديمقراطية سُلماً للوصول إلى الحكم – الديمقراطية لمرة واحدة فقط" وبعدها لن يسمحوا لأحد من غير الإسلاميين بالحكم.. أي الديمقراطية وسيلة للسيطرة على الدولة.

وهذه النظرية تُعبر بكل وضوح عن مدى سذاجة وسطحية المستوى العقلي الذي وصلنا إليه، وهذه النظرية مناقضة تماماً للمنهج الإسلامي وباطلة من عدة وجوه:

من ناحية الحكم: إن الإسلام حقاً يريد أن يحكم، وهو دين جاء ليحكم.. ليس الأمة الإسلامية وحدها بل البشرية كلها: ﴿ هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة : 33] ولكنه يريد أن يحكم بالمنهج الراشدي.. إنه منهج للحكم ليس فيه: استبداد، ولا مُلك، ولا جبر ولا عتو، ولا خديعة، ولا مكر. ولا تنفصل فيه الوسيلة عن الغاية عن الرسالة ! فلا هو يخدع أو يداهن أحداً، إنما يستعلن منهجه وعقيدته وفكره وطريقه، ويُبين للناس الحق والباطل، والإسلام والجاهلية، والإيمان والكفر، والتوحيد والشرك.. إذ هو أحرص عليهم من أنفسهم في أن يُبين لهم طريق النجاة وصراط الله المستقيم، فالدنيا كلها ساعة من نهار، وهو يريد لهم الآخرة قبل الدنيا، فهو يريد أن يحكم ليُقيم الدين، ويُحكم الشريعة، ويُعلي كلمة الله. وفي سبيل ذلك لا استبداد ولا خداع ولا تجبر، ولا وسائل ما أنزل الله بها من سلطان، فالله سبحانه عرّف دينه، وعرف الطريق لقيام دينه. ورسالة الإسلام هي التي تريد أن تحكم، وليس الأشخاص أو المذهب أو الحزب أو الجماعة.. فلا مطمع في سلطة؛ ولا مغنم غير رضى الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وكفى به من مغنم.

من الناحية الأخلاقية: فمنهج النبي ﷺ أن ينبذ إلى قومه على سواء، قال تعالى لنبيه: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاء إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ﴾ [الأنفال : 58] أي: وإن خفت -أيها الرسول- من قومٍ خيانة ظهرت بوادرها فألق إليهم عهدهم، كي يكون الطرفان مستويين في العلم بأنه لا عهد بعد اليوم. إن الله لا يحب الخائنين في عهودهم الناقضين للعهد والميثاق.

وهذا المستوى الأخلاقي السامق، هو ما كان يجعل العدو قبل الصديق يرى في الإسلام ما لا يراه في غيره، ويشعر بصحة منهجه في أعماقه.. وأنه هو الحق. وفي النهاية كان هذا المنهج يُدخل الناس في دين الله أفواجا.

من الناحية الواقعية: صندوق الانتخاب ليس هو من يضمن الحقوق، ودليل ذلك تلك التجربة الكارثية التي نعيشها الآن. إن سنن الله في كونه، لم تجعل الحقوق تُحفظ بصندوق انتخاب، أو علامة على ورقة..!! فهي لم تحفظ حقوق أي أحد عبر التاريخ.. إنما تُحفظ الحقوق (بالقوة) بكل أنواعها، وما انتزع أحد حقوقه وحريته إلا بالكفاح. ولهذا كان أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال : 60].

من الناحية الدعوية: فالخطاب الدعوي والسياسي والاقتصادي والأخلاقي وكل الخطابات.. إنما تنطلق من قاعدة و احدة هي "العقيدة" وتختلف الصياغة حسب أفهام الناس وحسب المناسبة، أما التناقض بين الخطاب الدعوي والسياسي فهو يعني المقت الأكبر.

من الناحية الفكرية: هناك على الحقيقة قطاع كبير من أبناء الحركة الإسلامية يؤمن بالديمقراطية إيمان حقيقي.. من كثرة ما يتحدث عنها قيادات العمل الإسلامي! وهذا ما يُنتج خلل واضطراب ونتوءات نفسية وفكرية في الحركة الإسلامية.

من ناحية المسؤولية: إن الحديث عن قضايا الأمة المصيرية لهو حديث جلل يتعلق بالأرواح والدماء والثروات ومصير الأمة ومصير البشرية، وإن أي خلل عقدي سينتج عنه خلل فكري ثم إرادة خاطئة، وفعل خطأ. وإن أي خلل في النظر إلى هذه القضايا سُينتج كوراث لأجيال.

من ناحية العدو: إن العدو ليس بهذه الساذجة والغفلة حتى يسمح بهذا العبث، فنحن خاضعون تحت منظومة دولية تراقب كل شيء.. وتهيمن على كل شيء، وتضربنا ضربات استباقية – حتى على مستوى الفكر – حتى لا نخطو خطوة واحدة !

من ناحية التاريخ: فلم يثبت في التاريخ القديم والحديث والمعاصر أن الديمقراطية بأي صورة من الصور، وبأي تبرير من التبريرات مكنت المسلمين من شيء، أو دافعت عن مصالحهم! بل العكس هو الصحيح فكل التجارب فاتورة باهظة الدماء والأموال والأرواح.. بلا مقابل.

من ناحية التغيير: قانون الله ثابت في التغيير، لن يغير ما (بالقوم) حتى يغيروا ما بأنفسهم من تصورات وقيم وموازين باطلة، وتعود لتنطلق من القاعدة التي أرادها الله تعالى لهم.

(3) نظرية "إلزام الخِصم بما يقوله"

أي: الخصم يقول إنه يريد قواعد اللعبة الديمقراطية، ونحن نُلزمه بما يقول، ونريد أن نلعب وفق قواعد اللعبة التي يُعلنها للجميع ويتفق عليها الجميع.

وهذه النظرية تعبر بوضوح عن الغفلة عن كتاب الله، وأننا حقنا أصبحنا نقرأ هذا الكتاب "أماني" وتلاوة، وأننا لا نتحرك وفق منهج هذا الكتاب: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ ﴾ [البقرة: 78] فالكتاب أصبح مجرد تلاوات عذبة نقرأها في الليل ونظل نبكي أن ينصرنا الله، ونحن أُميون عن منهجه! ونتمنى أماني كاذبة دون أن يتحول الكتاب إلى منهج وخطة عمل، ثم عندما تقع الكوارث – لأن سنن الله لن تحابي أحداً ولو كان رسول الله ﷺ – نسأل: أنى هذا؟ وفي النهاية نهرب من المسؤولية إلى الفتن والملاحم، وننتظر خروج المهدي !

الله سبحانه يقول عن الخِصم: ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لاَ يَرْقُبُواْ فِيكُمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [التوبة: 8]

هذا الخصم يكذب كما يتنفس، ولا يرعى فينا قرابة ولا ذمة، وهو سيقتلنا بدم بارد، فكيف لهذا الخصم أن يلتزم بما يقوله، وهل هو يستند لقاعدة أخلاقية تجعله يلتزم بما يقول، ويوفي بعهده؟! والتاريخ يقول إنه عندما تفوز بصندوق الانتخاب، فالخصم لا مانع عنده من حرق الصندوق وحرقك أنت وأهل بيتك بل وحرق الرضع والأطفال والشيوخ والركع السجود!!

ثم إن هذا الخصم يدعي أن هو من يدافع عن الديمقراطية، وأنه لا ديمقراطية لأعداء الديمقراطية.. والإسلاميون هم أعداء الديمقراطية، والديمقراطية ليست مجرد صندوق انتخاب، **الديمقراطية**: هي

الحكم بلا إسلام ولا شريعة. **الديمقراطية:** لا تعمل إلا في إطارها العلماني. لذا يصبح الإسلاميون الديمقراطيون متآمرون على الديمقراطية والعلمانية، ومن أعدى أعدائها.. حتى ولو تعروا للديمقراطية وقدموا لها القرابين – كما حدث – فمن فرط حرص العلمانيون على العلمانية والديمقراطية لن يأمنوهم.. فقد يكون هذا التعري مؤقتاً، فإن أي سمت إسلامي شديد الخطر على الديمقراطية والعلمانية. **الديمقراطية**: هي حقوق الأقليات وسيطرتهم. **الديمقراطية**: هي تحرير المرأة من كل فضيلة وأخلاق وقيم. **الديمقراطية**: هي حرية الإلحاد والفسق والفجور. **الديمقراطية**: هي حكم الطبقة التي تملك المال والإعلام بعد استغفال العبيد. **الديمقراطية**: هي أداة العلمانية.. فأنى لإسلامي أن يقول إنه يريد الديمقراطية**!** إنه حقاً مخادع ولهذا فنحن طردناه من "جنة الديمقراطية" **!!**

وما هي "القوة" التي في أيدينا لنُلزم الخصم بما يقول.. أهي كلمة شرف؟**!**

الخصم يملك السلاح والمال والإعلام والقضاء والعلاقات الدولية.. ونحن لا نملك منهج رباني نطلب به النصرة من الله، ولا منهج مادي يواجه قوة الخصم.

وما هي حقيقة الخلاف مع الخصم، وما هو منهج مواجهته؟

أهو صراع سياسي على السلطة؟ أم صراع عقدي على الإسلام؟ وهل نحن نخترع منهج من أهوائنا ومن أنفسنا نواجه به.. أم هناك طريق، ومعالم لهذا الطريق، وصراط مستقيم لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ نمضي فيه؟

حينما نقفز فوق هذه الأسئلة، ونتجاوزها بحجة "المرحلة الحرجة" والظرف دقيق.. إلى آخر هذه التبريرات؛ فإننا نضل ضلالاً بعيداً..

إن الشيطان لا يريد فقط الضلال القريب الذي يمكن للإنسان أن يرجع منه إذا شعر بالخلل والتيه والعبث، بل هو شديد الحرص على الضلال البعيد جداً: ﴿ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً ﴾ [النساء : 60] الضلال الذي يسير فيه الإنسان مسافات بعيدة هائلة، فإذا نصحه ناصح، أنه على الضلال.. شعر بالصدمة الشديدة، وأنه أسهل عليه أن يكمل في طريق الضلال على عدم العودة والاعتراف أنه مضى كل هذه المسافة على الضلال.. سيكره الناصح الذي كشف له هذه الصدمة الشديدة: ﴿ وَلَـكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴾[الأعراف : 79] إنه كالشخص الذي يريد أن يذهب لمدينة ما يبعد عنها ألف كيلو متر، فمضى في الاتجاه المعاكس للمدينة تسعمائة كيلو.. وبقي مسافة قريبة ليكمل الألف، فوجد من يقول له إنه أصلاً في الطريق المعاكس.. وعليه أن يرجع تلك المسافة، ويأخذ الطريق الصحيح من بدايته. يا لها من صدمة، ويا لها من غفلة **!!**

أكتفي بهذا القدر، فمسلسل التبريرات لا ينتهي، وأنبه القارئ الكريم أنني لم أتحدث هنا عن مساوئ الديمقراطية، ونقضها من ناحية شكل الحكم، وطريقته. أو من ناحية الشرع، وشكل الإسلام في الحكم. واكتفيت بمحاولة تصحيح مسار فكر المسلم.. المسلم الذي يريد حقاً أن ينتصر لدينه، ومستعد للتضحية من أجل ذلك، ولكن تتخطفه الأفكار المنحرفة كالفكر الديمقراطي وغيره، لتُضيع عليه غيرته على دينه، وتُضيع كذلك تضحيته. وأشير إلى فصيل آخر من الأئمة المضلين الذين يحاربون الديمقراطية ولكن ليس لوجه الله الكريم، وإنما خدمة لسلطان الاستبداد.. وهؤلاء لا تقل خطورتهم على المنادين بالديمقراطية.

* * *

مكمن الخطورة في الفكر الديمقراطي سواء أكان الخطاب سياسياً متميعاً مخادعاً، أو فكرياً أصيلاً راسخاً:

(1) **تقليد الغرب.**

يستحيل أن تتحرر هذه الأمة دون الرجوع إلى أصولها العقيدية والفكرية والحضارية تستلهم منها طريق الخروج الجديد.. التحرر من التبعية الفكرية والثقافية للغرب، والعودة إلى هويتنا الإسلامية والحضارية خطوة أولى، إذا فرطنا فيها.. فقد فقدنا الطريق منذ البداية.

والعجيب أننا نفرط في أعز ما نملك، بدعوى باطلة هي تقديم "شهادة حسن سير وسلوك للغرب" فرطنا في أعز ما نملك، ولم نحصل على ما نريد !!

فالغرب حاربنا ويحاربنا وسيحاربنا حتى ولو انتسبنا للإسلام بمجرد الاسم فقط، فهو – كما قال تعالى– لن يكف عن قتالنا ويرضى عنا، حتى نتبع ملتهم.

(2) **منهجية التغيير.**

منهجية التغيير "تدور في فلك "الأشخاص" العباقرة على افتراض وجودهم، وإن كان الموجود – كما رأينا – شخصيات انتهازية طامعة فاسدة. والدوان في فلك "الأشخاص" منهج باطل في التغيير لا يُنتج إلا شراً.

ومنهجية التغيير – كما هي سنن الله – هي الدوران في فلك "أفكار الرسالة" وتغيير ما بنفوس "القوم" من تصورات وقيم ومفاهيم باطلة، والتحرر من الدوران في فلك "الأشخاص والأشياء."

(3) **مناقضة للمنهج الإسلامي.**

الفكر الديمقراطي مناقض للمنهج الإسلامي من ناحية الهوية والشريعة ونظام الحياة، فمن ناحية **الهوية**: هوية الفكر الديمقراطي غربية علمانية، والشورى كنظام إسلامي هويتها إسلامية خالصة. من ناحية **الشريعة**: الفكر الديمقراطي مناقض للشريعة، ولا شريعة عنده إلا للأغلبية. أما في الإسلام الشريعة تعلو ولا يعلى عليها. أما ناحية **نظام الحياة**: الفكر الديمقراطي فكر مادي دنيوي علماني. أما نظام الحياة الإسلامية: فكر متوازن روحي ومادي، ويحمل رسالة الله إلى كل العالمين.

(4) طريق في الوصول للحكم غير ذات جدوى.

إن سنن الله في كونه، لم تجعل الحقوق تُحفظ بصندوق انتخاب، أو علامة على ورقة..!! فهي لم تحفظ حقوق أي أحد عبر التاريخ.. إنما تُحفظ الحقوق (بالقوة) بكل أنواعها، وما انتزع أحد حقوقه وحريته إلا بالكفاح.

(5) الكثرة العددية معيار الحق والباطل.

في الفكر الديمقراطي – في الظاهر – الحكم للأغلبية، وعامة الشعب.. وهي معيار الحق والباطل، وهذه الأغلبية إنما يُشكل وعيها من يملك المال والإعلام ومن يسيطر على العقول وله القدرة على التوجيه وخلق وتشكيل الرأي العام، ويصبح من يملك المال والإعلام يملك الأحزاب السياسية، ويملك – في النهاية – أن يحكم هو ولو من وراء ستار، ويوجه الدولة الوجهة التي يشاء ! ويصبح في النهاية: **"حكم الأقلية التي تملك القوة، باستغفال الأغلبية التي لا تملك شيء"**. ولو افترضنا أنه حكم الأغلبية كان عن إرادتها الحرة المستقلة عن أي تأثير إعلامي وتوجيه – وهي صورة مستحيلة – لو افترضنا ذلك، ما كانت أيضاً معياراً للحق والباطل، إنما الحق والباطل هو ما قرره الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ في كتابه.. الذي هو منهج للحياة وللحكم والسياسة، ومن استكبر عن هذا المنهج وغفل عنه ! فلا يسأل الله شيئا، ولينتظر عقاب الله.

(6) الديمقراطية أداة العلمانية.

الديمقراطية أحد أدوات العلمانية.. وكلاهما من أقصى درجات الإلحاد، فإذا كان إلحاد الفرد أن يعبد هواه، فإن إلحاد الدولة هي أن يعبد نظامها السياسي ومكونات الدولة أهواء البشر.

الديمقراطية شيء لا يمكن أسلمته، ولن تنجح إلا عندما تجتمع الشعوب على الإلحاد أو الشرك.

ومن يقول إنه يمارس الديمقراطية (بمرجعية دينية) مثله كالفتاة التي تغطي شعرها، وتكشف كل مفاتن جسدها حتى عورتها المغلظة. وتقول في النهاية أنها : (محجبة) !! وهذان لهما اثمين: الأول: أنه ليس بحجاب (أو نموذج إسلامي) والثاني: جريمة التدليس على الناس.

(7) إهدار الطاقات والأعمار والأجيال.

إننا عندما نمضي في طريق العبث.. لا شك أننا سننتهي إلى العبث. وعندما نمضي في طريق مناقض لمنهج الله، فإنه لا شك الهزيمة تنتظرنا في نهاية الطريق. لا قيمة للتضحيات إذا كانت في الطريق الخطأ، ولا قيمة أن نلوم عدونا، ونحن من يتآمر على أنفسنا، ونهلك أنفسنا، ونهدر الطاقات والأعمار والأموال والدماء والأرواح، ثم نُصدم في النهاية، بعد أن خرجنا صفر اليدين من الدين والدنيا !!.

(8) التحدي الحضاري.

إن الديمقراطية والعلمانية في الأساس فكرة وعقيدة ونظام ضد الإسلام، والإسلام ضدها.. وسيقف كل منها للآخر. فهو إما إسلام أو علمانية.. إما ديمقراطية أو شورى، ولن يجتمع الضدين أبداً. وكل محاولة للجمع بينهما أو الوقوف في المنتصف بينهما محاولة فاشلة تكّلف الكثير بلا مقابل.

(9) التدليس على الناس.

يُعرّف كل أحد الديمقراطية على هواه، أو حسب صراعه السياسي ! فهذا يقول أؤمن بالديمقراطية قلباً وقالباً، والآخر يقول آليات لا فلسفة، وغيره يقول: سُلم للوصول فقط للحكم؛ لنحكم بالإسلام ! أو الديمقراطية هي الشورى ... إلخ من هذا العبث. يتلقى هذا العبث عقول الناس البسيطة التي لا تملك أدوات النظر والتحليل، وتحسب أن هؤلاء القادة ! الإسلاميون ! لن يضلوها.. ثم هو في النهاية.. الضلال البعيد!!

(10) الديمقراطية: العمل من خلال خطة العدو، ولهذا نحن ننهزم .

فالعدو يريد لنا أن نمضي في طريقها، ونتنافس حولها، ونستهلك طاقاتنا وأنفسنا فيها، ونلعب في إطار الدولة العلمانية التي يحمي الاحتلال والعدو هويتها بكل وسيلة، وأن نكسب مرة أو نخسر أو نتشاجر أو نتصالح أو نتحاب أو نكره، فالديمقراطية والعلمانية تسعنا جميعاً، ولا بديل عن تلك الخطة.. التي هي في النهاية خطة العدو، التي ننفذها نحن بأنفسها ! باختصار.. ننتحر ذاتياً.

وعندما لا نخطط للتمكين على أساس عقيدة شاملة ترد الأمر كله لله، وتوحد الأمة وأرضها.. عندما لا نخطط لذلك، فقد خططنا – بالفعل – للهزيمة، ونكون في النهاية جزءاً من خطة العدو! وهذا باختصار

تاريخنا الحديث والمعاصر!!

(11) **الهزيمة النفسية.**

الهزيمة النفسية أما العدو الصليبي الغربي. إذ إننا نجد أنفسنا في النهاية نقلده في كل شيء: "حَتَّىَ لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبَ لاَتّبَعْتُمُوهُمْ"[صحيح البخاري/6802] إننا نستورد طرق الحكم، وهي من أخص خصوصيات المنهج الإسلامي! نجد أنفسنا نستورد فكره وثقافته وحضارته، ونقلده تقليد القرود الأعمى، ونتحاكم إليه في كل صغيرة وكبيرة !

بينما نحن في الأساس الأمة التي أخرجها الله تعالى للناس لتكون هي الأمة الشاهدة المعلمة التي لها وعليها أن تخرج البشرية من مستنقعات التيه ووحل الظلام، الأمة التي تنتظر البشرية أن يُشرق نورها ويفيض عليها كما أفاض أول مرة. وتأخذها بقوة ورفق للهداية والراشد، وإلى صراط الله المستقيم.

* * *

مقالات وأبحاث ذات صلة (لطفاً.. اضغط على الرابط):

(1) الفرق بين الديمقراطية والشورى.

(2) الشورى وآلياتها ومعالم الدولة المسلمة.

(3) في وهم الديمقراطية.

(4) الديمقراطية والهوية.

(5) الكاهن والعلماني.

(6) الإسلام ومشكلاتنا السياسية.

(7) خطورة الفكر العلماني

(8) المسار الديمقراطي.